الهجومية الإسرائيلية، بل إن أوضاع شعبنا اليوم، هي أسوأ مما كانت عليه قبل عقود، من ناحية ما تبقى من أرض في الأيدي الفلسطينية، ومستوى البطالة التي ناهزت ٣٠٪ والفقر الذي ناهز ٦٠٪ ناهيكم عن الانقسامات الفئوية والتنازع على منافع سلطة دون سيادة وبث روح الكراهية والعداء والتخوين والتكفير التي يسهل معها الضغط على الزناد،... اما حكومة نتنياهو الأشد تطرفاً فهي تطالب الفلسطيني بالاعتراف بيهودية دولة إسرائيل بما يهدد ١,٣ مليون فلسطيني بالتطهير العرقي، ناهيكم عن اجماع صهيوني يرفض حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي شرّدوا منها عام ٤٨.

وعليه تجاهر هذه الرسالة بتوصية صريحة للقوى الوطنية الفلسطينية، أن تقبض بثبات على نموذج المقاومة، التنظيم الثوري السري، فالصراع مديد وتاريخي، بل إن التراخي في هذا الدرس إنما ينطوي على تجريد الشعب الفلسطيني من أهم أسلحته النضالية، ويخلق مناخات مواتية لصعود قوى اجتماعية متساوقة أكثر مع الشروط الإسرائيلية أمنياً وسياسياً... الخ

وختاماً، فإن الأطروحة تحمل أبعاداً تاريخية حينا وتحليلية ونقدية حيناً آخر، وسردية وتعريفية حيناً ثالثاً، كما اشتمل السياق على إجابة عن إشكالية الدراسة. وهذا لم يكن ممكناً لولا الاتكاء على شذرات من الفكر الخلدوني والرشدي وصولاً إلى المادية التاريخية الماركسية، وكذا سلسلة المقابلات التي ناهزت ٤٠ مقابلة بما أضاءته من زوايا (فأهل مكة ادرى بشعابها)، وكذا التعميمات والمراسلات في ثبت الملاحق التي تتكامل بنيوياً مع الرسالة وتدلل على مناخات الجبهة ومعالجات قيادتها بما يضيء بصورة حية جوانب تنظيمية وفكرية وسياسية عديدة.

والأطروحة التي عرّجت بايجاز على بعض العناوين، من طراز:

١) التجربة الفدائية للجبهة. ٢. التجربة الثقافية والفكرية للجبهة وما أضافته على هذا الصعيد.

٣. العلاقات الوطنية وجدليتها. ٤. التجربة الأسيرة.

إنها كلها تستأهل رسائل متخصصة.

وأخيراً، لعل هذه الدراسة تحفز أقلاماً كفؤة من كل الاتجاهات للحرث في حقول تجارب الفصائل الفلسطينية الأخرى. فالتاريخ الذي لا يكتب قد ينسى.